

تتناثر مجموعة من البيوت يزيناها مسجد كبير يربض بشموخ وعزة على رأس التل، تصدح التكبرات من مؤذنته كل يوم لتما الوادي عظمة وخشوعاً، متمنياً أن يحظى بفرصة العيش فيها ولو لأيام قليلة بعيداً عن ضجة المدينة وصخب الحياة فيها. يتمتع أهلها بهوائها العليل، وينعمون بخرياتها الي لا تنتهي، لكثير من الخدمات الي يتمتع بها أهل المدينة، القمح والزيتون ألدّ من كل ما يتمتع به أهل المدن من طعام وشراب فالجراح كانت أعمق من ذلك بكثير. هناك في بيت صغر من بيوتها أظلمت الدنيا تماماً، كانت أصواتهم المرعبة تقترب من البيت شيئاً يعلو ضجيجهم المخيف كلما اقتحموا بيتاً من بيوت الجران، وتوسّات من آباء وأمّهات يطلبون الرحمة. ووقع خطواتهم قد صار أقوى وأكثر وضوحاً واقتحمه جنود يحملون السّاح يبحثون لكن ماذا يريدون من سكان قرية حدودية نائية صغرة دمروها من قبل وقتلوا الكثر من أهلها؟ هل يريدون فعاً القضاء على من بقي فيها من أناس ضعفاء؟ لم يتركوا غرفة ولا زاوية إلا بحثوا فيها. ابحت تحت هذا السرير المتهالك ربّما وجدنا تحته بعين خائفتن وكأنه يرى الموت على شكل بشر. كانت أوصاله ترتعد من شدة الخوف، ازرقّت شفّاه ودمعت عيناه وصمت لسانه عن النطق بحرف واحد - أين بقية أهلك يا ولد؟ أين والداك وإخوتك؟ هيا تكلم، كعصفور في قفص يضرب بجناحيه كان يتمي أن يكون هذا مجرد كابوس سيصحو منه ويركض إلى حضن أخيه كما في كل مرة ليُهدّئ من روعه ويعود لينام بعمق من جديد. كان حسن يراقب المشهد من بعيد برعب وذهول، كانت تلك الكسرات وجبة طعام لكنه وقف متفرجاً لا على مشهد اختطاف أخيه والعجز يكبل كلتا يديه، ما هو الحل؟ هل يمكن أن يتخيّل حياته دون أنس؟ هل يمكن أن